

الشمس والقمر

مسرحية في فصل واحد
بقلم عبدالعزيز هلال

الشخصيات :

رجاء ، سيدة رقيقة ، في التاسعة عشرة .

رمزي ، في السادسة والعشرين .

مني ، أخت رمزي وتشبهه تماما ، في السادسة عشرة .

المنظر :

فسحة في دار شرقية ، تظلها دالية عنب . على اليمين بساب مفتوح يقضي الى غرفة الطعام ، وفي الصدر باب مفلق لفرقة الجلوس . في الوسط تماما مائدة مربعة خلفها وعلى جانبيها ثلاثة كراسي صفرة من القش .

(ترتفع الستارة عن رجاء تجلس على الكرسي الايمن تنفي ارزا)

★

رجاء : (تردد لحننا شائما بدمدمة خافتة . تنتبه فجأة الى حركة فتح باب واغلاقه من يسار المسرح) مرحي رمزي ، ها انتذا اخيرا .

رمزي : مرحي للجاراة الرائعة (داخلا مجال المسرح من يساره ، ميتسما) ماذا تفعلين ؟

رجاء : اعد لكما غداء عاجلا ، لا تحدث اية جلبة ، اختك نائمة منذ قليل .

رمزي : حقسا ؟

رجاء : اليس هذا رائعا ؟

رمزي : بالطبع .. لم يعد ثمة خوف بعد الان .. يا للمسكينة مني ! انها لا تستحق أي مرض .

رجاء : انت تحبها جدا ، اليس كذلك ؟

رمزي : (جالسا على الكرسي الخلفي) ولكن اخبريني .. كيف اصبح حالك مع حمائك ؟

رجاء : حسنا جدا ، هذه مشكلة قديمة كما تعرف - الحماسة والكنة .. انها مسألة عدم قدرة كل منهما على التنازل عن حقها في ان تكون ربة البيت . وهذا شيء طبيعي ، الا تعتقد ذلك ؟

رمزي : لدرجة انني اذا تزوجت - اعني اذا وقعت هذه المعجزة (ضحك خفيف) - فلن اجمع بين امي وزوجي في بيت واحد والا كنت غنيا . كل منهما يجب ان يكون لها بيتها ، والا خولفت طبيعة الانسان في اخص خصائصها .

رجاء : (تضحك) ...

رمزي : ما الذي يضحكك ؟

رجاء : اوشكت اقول « بداننا بالفلسفة » .

رمزي : وبلك ، الا استطيع ان اتكلم على سجيته مرة دون ان اسمع هذا التعليق ؟

رجاء : انا اأسفة .

رمزي : لا تهمني ... بل انا لا اكاد اشعر بالسرور الا في مثل هذه الاوقات القليلة التي تتيح لي فرصة التحدث اليك . احببتك اكثر من أي شيء في هذا الدير الكبير يا رجاء !

رجاء : (تصطرب ، وتتورد حياء) .

رمزي : (يتضاحك) اطمني ، حيي لك عذري ، شان كل الخياليين . رجاء : اكاد لا افرق بين جدك وهولك ، لانك ابعد الناس عن الهزل . رمزي : احب هذا كثيرا .. فبه استطيع ان احبك بلا صمت .

الصمت في الحب مشتقة من نوع شعري .

رجاء : (متمالكة نفسها بجهد) رمزي ! انا ايضا احبك .

رمزي : (بابتسامة مرة) كان ، كصديق .. لا يفيظنك هراثي ،

ارجوك . اعدك بان لا اعود الى الثرثرة في هذا الموضوع ، فانا لا اريد

ان انقذك مرتين . اجلس (كمن يحدث نفسه) فان كنت قد فقدت

كزوجة ، فلن اعمل على فقذك كصديقة ، كجاراة ودودة على الاقل .

(فترة صمت) .. قبل سفر أسرتي اكتشفت بطريق الصدفة ان امي

تعلم حبي .. لك . سمعت والذي يتحدث عن امينته ان يزوجني ،

ويسألها عن ارغب في الزواج منها ... فاجابته بان التي ارغب فيها

ليست بالتي يجب ان اتزوجها . امي ليست ذكية ... وقد ادهشتني

اجابتها . ولكن ، رغم ذلك ، فلم تزل تلك الساذجة في نظري ، لانها

لم تقل انني ممن يرغبون دائما فيما لا يمكن تحقيقه . هذا هو الصواب .

لقد احببت دائما ان اكون في غير المكان الذي يمكن لي .

رجاء : لماذا ؟

رمزي : (متابعيا) ثمة حادثة بعيدة في عمري ، هي اول ما اذكره

من حوادث حياتي . كنت طفلا في الثالثة آنذاك ، وكانت امي تتخص

عن اخي الذي يليني ، مائلة البيت صراخا جعلني ابكي خوفا ، فأسلمتني

امراة لا اذكر من تكون الى ابنتها لتلهيني خارج البيت .. ولم يكن ثمة

بناء آخر يفصل بيتنا عن هذا التل القريب آنذاك . كفتت عن البكاء ،

مبهورا بمنظر الشمس محاذية ذروة التل ، وهي تغيب ... ظننت ان

الشمس موضوعة على قمة التل . فانسلت باتجاهها مسرعا ، وجاهدت

صعودا شاقا على التل ، بلهيب رغبة مسعورة ، كالقدر العظيم

في قوتها وسيطرتها ، في ان احصل على الشمس . وحين وصلت

الذروة ، مغمورا بالقرى والعياء ، وجدت الشمس بعيدة عن التل ..

بعيدة جدا . اذ ذاك وقفت انطلق اليها في غيظ ساحق ، وهي تهبط

اسفل الافق المجهول ، وتهبط ، حتى اختفت . فنهاكت على الارض ،

أبكي خيبي حتى غليني النوم ، وما ابقيني الا اشعتها تفر وجهي

في الصباح ، فاذا هي ترتفع وكأنها تسخر مني .. لم تكن مطلقا

مثل ذلك الجمال والزهو اللذين رأيتهما ذلك الصباح . (يرفع رأسه

متأملا في وجه رجاء وهذه لا تحرك ساكنا ... ثم ينهض ويتقدم الى

طرف المسرح ، فيقطف ورقة من الدالية) لم تكن تلك الامنية الا بداية

لسلسلة طويلة من الامنيات تمانلها ، وما كانت خيبي بها غير نتيجة

ثابتة لكل ما بعدها .

رجاء : هذا ما تعتقده انت ، وحتي اذا كان صحيحا فلانك متطرف

جدا في امانيك .

رمزي : (يستدير نحوها) حتى في آخرها - فيك انت ؟

رجاء : (واضحة وعاء الارز على المائدة) اظن هذا (وتشبك يديها

حول ركبتها) اليس في المدينة غيري ؟

رمزي : بلى ، كثيرات ، اكثر من الهوموم .. ولكن اية واحدة منهن

ليست انت بالذات .

رجاء : هنا وهم ... اعرفت غيري ؟ انت في عزلتك هذه علسي

استعداد لان تحب اية امراة ، مهما تكن صفاتها المادية والمعنوية ، تجدها

دائما في هذا الدير ، ولا اقصم به المدينة كما تقصد به انت ، بل اقصم

ببتكم بالذات ، الذي لا تفاديه الا للسينما او مكان ناء من الشاطيء

تأمل فيه شمسك وهي تقرب كل يوم ... كم بودي لو امزق كل هذه الكتب التي تملا حجرتك ، ان امزق كل كتاب ارادته منطويا عليه ! فهي ذي في الحقيقة علة اخفاك ، خيبتك .. لا توجهه الى مستويات غير بشرية . الشمس ! اية خدمة كبرى هذه التي حشا بها الكتب هؤلاء الفلاسفة ! بل اي نوع من السذج اولئك الذين يتقبلون خدعتهم في حماس اهوج ، ويفغزون في شباكهم برضى واختيار حر ! الشمس ! رمزي : لا تنسى ان روسيا وامريكا تريدان عزو القمر ، وستنجح احدهما بالتأكيد .

رجاء : مقول ، ولكن لا تنس انت انهم قد غزو الارض قبل ذلك . فمن اسفل السلم بدأوا .. وهذا هو الناموس الطبيعي للصعود . ثم ارجو الا تنسى انهم سيفعلون اكثر من ذلك صعوبة طالما هم اعتمدوا على « كانت » ووضعوا افلاطون على ارف كدمية تزين حجرة الى جانب الراديو والمصباح المظل وصور الاسرة .

رمزي : (متحركا نحو كرسيه) منطوق صحيح (يجلس) اني اومن به قدر ايمانك ... ولكني لا اراه مبررا فشلي . هناك شيء اقوى من المنطق الصحيح كما يبدو ، يدهسهم روحي في كل لحظة ، ويأسرها حتى يستحيل عليها الافلات ... انسانياتي . انها لشيء قديم جدا ، ولد مع الانسان نفسه ، بيد انها جديدة وستبقى جديدة للأبد .. هل تعتقد ان انت باننا يجب ان نتخلى عنها لمجرد اننا يجب ان نحقق امنية ، مهما عظمت ؟ الا ترين ان الوحوش لا تتميز عن البشر الا في كونها بلا انسانية ؟

رجاء : لا خلاف في ذلك ، وانا لا اعني مطلقا ان نتخلى عن انسانيتنا ، انما اعني ان لا تتحول هذه الانسانية ضدنا .. ضد امانينا ، فنسقط في زوايا الخيبة ، ونجتز انفسنا ، كحاضر دائم ، كماض بالاحرى ، محرومين من التوق ، من المستقبل ، حتى النهاية .. لقد كدنا ننهي لطول هذا الاجترار . هذا هو رأيي .

رمزي : لشد ما انت مؤمنة بما تقولين ! انت قوية ، قوية جدا يا رجاء ، رغم مظهرك الرقيق ... امن اجل هذا احببتك ؟

رجاء : (بسخرية) لا شيء سوى الحب ! رمزي : انه اعظم نعمة منحت للانسان .. انه النار المقدسة التي تظهر الروح كلما تدنست .

منى (داخل من يسار المسرح بحالة ضعف) هذا حالكما لا تجتمعان الا على خصام .

رجاء : (تبادر اليها) ويحك يا منى ، لماذا نهضت من فراشك؟ رمزي : (مبادرا اليها ايضا ، منتزعا اياها من يدي رجاء) يسا

عزيزتي منى ، دعيتها ارجوك ، كيف انت الان ؟ منى : الحمد لله ، اظن انني تحسنت (وهي تجلس على الكرسي

الايسر ، مبتسمة) رجاء تعاملني كقطعة زجاجية . رمزي : لفرط حبه لك بلا شك .

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر
لجان بول سارتر

الجلادون
لهنري الينغ

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الآداب

رجاء : طبعاً يا حبيبتي . رمزي : (يجلس على كرسيه) طبعاً يا حبيبتي .. رغم انك نسخة طبق الاصل عني كما تقول . رجاء : انها شخصيتك (وهي تجلس) فانت الذي اغراهنا في الطريق نفسه . منى : (تضحك) لماذا تسميني ضحية ؟ انه الطريق الصحيح في رأيي .

رجاء : رمزي هو الذي ينكلم ، هذا الساحر الشرقي القديم . رمزي : لو كنت ساحرا لحولت غيوم السماء كلها مطرا ، ولفجرت كل ماء الارض يتابع ... الارض يجب ان تتجدد .

رجاء : دعني اذكرك اذن بان طوفان نوح كان كدمه .. انه لم يجدد شيئا ، بل عادت الكائنات كالأصل ، لان البذر ظل هو نفسه .

رمزي : (الى منى) ترين ما اقواها ! انها هي الساحرة ... ولولا انني احمل رقية بصورة مسبقة لوقعت في حبالها .

منى : (في ابتسامة مقصودة ، ناظرة الى رجاء) او لم تقع؟ (يضحكون) .

رجاء : (ناهضة) سألني نظرة على الطبخة (تحمل الوعاء وتغيب في حجرة الطعام) .

منى : كم هي رائعة ! رمزي : كم هي قوية !

منى : (متذكرة) ماذا بشأن عمك ؟ رمزي : لم يصل أي قرار بعد من الوزارة . اظن انهم لن يصدروا قرارات توظيف قبل حلول السنة المالية الجديدة ... يحتمل الامر انتظار شهر .. ربما اكثر .

منى : هذا فظيح ! (تظهر رجاء على باب الحجرة ناظرة الى منى) .

منى : (متابع) فاسيت من البطالة هما انت في غنى عنه . رجاء : (متوجهة الى كرسيها) لقد نصحتني ان يتدرب عند احد المحامين .. الوظيفة ذل ، واخوك فضلا عن هذا لا يصلح للعمل المقيد . انه يعاكس وجهة طموحه (تجلس في استرخاء) .

رمزي : (متصايقا بعض الشيء) سافعل هذا ، اذا تمكنت من الاتفاق مع محام .. لقد كنت انتظر جواب الوزارة على اقتراح المدير لاعادتي الى عملي ، اما وان القرار بعيد الوقوع فسأسمى الى عمل حبر منذ الان .

رجاء : كم يسرنني هذا ! منى : ساشفى فرحا .

رمزي : (مقلدا) كم يسرنني هذا ! رجاء : اجل ، وفوق ما تستطيع تصوره ، يسرنني هذا .

رمزي : انتصارك ، هذا هو الذي يسرك . رجاء : حسن ، انتصاري .. فما انذي اراك لأول مرة تطيعني .

رمزي : وانت تطيعين زوجك .. هي ذي الكنتة الفاجعة : الحبيب مطيع والزوج مطاع ، والمرأة هي نفسها ، فاذا كان للزوج من فضيلة فقد تكون هذه .

رجاء : انا وزوجي نحيا كارادتين حرتين ، متفتقتين على مبدأ واحد وباتجاه واحد ، فليس بيننا ما يسمى طاعة ، وانما هناك الاقتناع والتسامح متلازمين ، والتوافق ايضا .

منى : فعلا ، لاحظت هذا .. انهما زوجان سعيدان وموفقان تماما . رمزي : (ناهضا بامتعاض) اعرف هذا ، فلست في حاجة لتزاده على سمعي . ساصعد الى السطح ريثما ينضج الطعام (متحركا لمفادرة المسرح من اليسار) ضجرت من القعود (يختفي) . (رجاء ومنى يتابعانه بنظرات حب والتم ، وحينما يبدأ الستار بالحركة تهبط نظرات رجاء فوق المائدة في حين تتحول نظرات منى الى رجاء في حيرة

واسى) ... - ستسار -

عبد العزيز هلال دمشق